قسم اللغة العربية / كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

المرحلة الثانية / البلاغة العربية / الدراسات الصباحية

المحاضرة / البلاغة العربية النشأة والتطور(الأهمية)

الأستاذ الدكتور / عبد الباقي الخزرجي

المقدمة / البلاغة العربية تتكون من ثلاثة علوم رئيسة هي: علم المعاني والذي يدرسه الطلبة الأعزاء في المرحلة الأولى من الدراسة الجامعية في كلية الآداب قسم اللغة العربية ، وأما في المرحلة الثانية فيدرس الطلبة علم البيان في الفصل الدراسي الأول وعلم البديع في الفصل الدراسي الثاني، وبذلك تكتمل معرفة الطالب في علوم البلاغة الثلاثة؛ ومن تتأتى أهمية دراسة هذه العلوم لطالب اللغة العربية بوصفها أسبابا مهمة لتعّلمه الذائقة الجمالية في التعامل مع النصوص الأدبية سواء أكانت شعرا ام نثرا فضلا عن تعلّم التعامل مع بلاغة النص القرآني وكيفية استخراج مناطق الجمال والفائدة منه.

نشأة البلاغة وتطورها

الفكرة الأولى هي: هل البلاغة كانت موجودة لدى العرب قبل الإسلام؛ وأن كانت موجودة لديهم ما شكلها وما سماتها؟

وعند الإجابة عن هذا التساؤل نجد أنّ البلاغة نشأة أول الأمر بشكل شفاهي وفطري في العصر الجاهلي، وتناولها العرب بفطرتهم الصافية وسليقتهم العربية وأكدت ذلك ما احتوته كتب الأدب والنقد وقد انتشرت الأسواق الأدبية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكان الشعراء يترددون عليها فيتبارون بالشعر فيما بينهم في هذه المجالس الأدبية ثم يحتكمون فيما بينهم؛ فكانت فنون الأدب هذه وما يدور حولها من آراء ونقاشات وملاحظات عديدة هي بمثابة البذور الأولى في حقل البلاغة العربية.

ونعلم كيف كان الشعراء في سوق عكاظ يحضرون ويلقون بأشعارهم أمام كبار شعراء العصر حتى يحصلوا منهم على إجازة المرور بوصفهم شعراء معترف بهم على صعيد القبائل العربية.

أهم العوامل التي ساعدت واثرت على ظهور البلاغة العربية

أولاَ: القرآن الكريم.

لقد كان للقرآن الكريم الأثر الكبير في ظهور البلاغة العربية بهذا الشكل عند العرب ومن دلائل الفائدة العظيمة للقرآن في البلاغة العربية ظهور الكثير من المصنفات القيمة حول تفسير بلاغة القرآن الكريم وكشف سرا عجازه، ومثال ذلك دلائل الأعجاز واسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني(471ت)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (206 ت).

ثانيا: الاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى.

كان من الأسباب الأخرى لظهور البلاغة العربية فضلا عن القرآن الكريم هو اطلاع العرب على ثقافات الأمم الأخرى وآدابها مثل الحضارة الفارسية والحضارة اليونانية وكذلك بلاد الهند، ومن مظاهر هذا التأثر ما قام به ابن المقفع (143ه) بترجمة مؤلفات أرسطو في المنطق إذ تركت حركة الترجمة هذه أهمية كبيرة في حياة البلاغة العربية.

ثالثا: الصراعات الثقافية بين القديم والمحدث.

إنّ الصراعات التي نشبت في القرن الثاني للهجرة بين أنصار المحافظة والتجديد في الشعر كان لها الأثر الأكبر في حياة البلاغة العربية، وكان من آثار هذه الصراعات ظهور مصنفات كثيرة ذات فائدة كبيرة في البلاغة العربية؛ مثل سرقات أبي نؤاس، وبديع ابن المعتز، وموازنة الآمدي، ووساطة القاضي الجرجاني.

رابعا: ظهور كتاب البديع.

وكان ظهور هذا الكتاب من المؤثرات المهمة في النقد والبلاغة عند العرب فكانت البلاغة قبل ظهور كتاب البديع تختلط بغيرها من العلوم فضلا عن الصعوبات التي كانت تواجه المشتغلين في حقلها؛ ويحول ذلك بينهم وبين تذوق النصوص الأدبية تذوقا جماليا.

أهمية البلاغة العربية

نستطيع تلخيص أهمية دراسة البلاغة بالنقاط الآتية:

أولا: تعدُّ اللغة وعاء الثقافة لأية أمة من الأمم، وهي أداة الاتصال والترابط بين أفراد الجماعة ووسيلة التعبير عن العواطف والانفعالات، واختلال اللغة يعني اختلال ثقافة المجتمع، والبلاغة هنا تؤدي بعضا من وظائف اللغة.

ثانيا: دراسة البلاغة العربية تكشف للطلبة الأعزاء عن دقائق وأسرار اللغة العربية وتنمي فيهم حاستي التذوق والنقد والقدرة على المفاضلة بين الأساليب.

ثالثا: تمنح الطالب القدرة والامكانية العالية لينشئ رسالة أدبية أو مقالة أو يتعلم نظم الشعر ويكون أدبيا.

رابعا: البلاغة العربية هي العلم الذي يضع الأسس الجمالية لتذوق الأدب الجيد لما تحاوله من الكشف عن القوانين التي تتحكم في الاتصال اللغوي.

خامسا: تعد البلاغة عنصرا أصيلا في الدراسات اللغوية وتلتقي مع الأدب في الأهداف والغايات المرسومة من درسها ومنها تذوق الأدب وفهمه فهما دقيقا لا يقف عند تصور المعنى العام للنص، وبيان نواحي الجمال الفني في الأدب وكشف أسرار هذا الجمال.

سادسا: تعمل على إنضاج الذوق الفني والأدبي للطلاب، وتمكينهم من تحصيل المتعة والإعجاب وإنشاء الكلام الجيد وإمكانية المفاضلة بين الأدباء وتقويم نتاجهم الأدبي تقويما فنينا سديدا.

ماهية البلاغة:

أولا: البلاغة ليست قضايا وأحكاما وقواعد وتعريفات فقط إنما هي إدراك فني لما في النصوص الأدبية من جمال الفكرة وجمال الإسلوب إدراكا يقوم على فهمها وتحليلها وتفصيل عناصرها ومعرفة بواعثها وتذوق جمالها والحكم بالقوة أو الضعف على مفرداتها وتراكيبها.

ثانيا: إنّ الغرض من تدريس البلاغة العربية هو تمكين الطلبة من استعمال اللغة في نقل أفكارهم إلى غيرهم بطريقة تسّهل عليهم إدراكها وفهمها.

ثالثا: إنّ دراسة البلاغة تساعد الطلبة على فهم أسرار البلاغة القرآنية ومواطن الإعجاز في القرآن الكريم من جهة حسن التأليف وبراعة التركيب وغير ذلك.

رابعا: للبلاغة العربية هدف مهم وهو تدريب الطلبة الكرام على صناعة الأدب وتأليف الخطاب من شعر ونثر وغير ذلك من الأهداف النقدية التي من خلالها يتمكن الطلبة من التمييز بين النتاج الأدبي الجيد من الرديء.

خامسا: تعمل البلاغة العربية على تطوير الوظيفة الحياتية والوظيفة الدينية ويتم التواصل من خلال الإبلاغ والتأثير في النتاج النقدي والإبداعي والتفسيري وتظهر مستويات السلم البلاغي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتكون في إطار القول العربي الذي ينسجم فيه الشكل والمضمون واللفظ والمعنى.